المدخل إلى مذهب
الإمام أبي حنيفة النعمان
رحمة الله تعالى

المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان

رحمه الله تعالى

تأليف
الدكتور أحمد سعيد حوّى
أستاذ مساعد في كلية الشريعة
جامعة الزرقاء الأهلية - الأردن

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار الأندلس الخضراء

المملكة العربية السعودية - جدة
الإدارة: ص.ب ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١
هاتف: ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات • حي السلامة - شارع عبد الرحمن السديري - مركز السلامة التجاري
هاتف - فاكس ٦٨٢٥٢٠٩

• حي الشغر - شارع بلخشب - سوق الجامعة التجاري
هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

• فرع الرياض: حي السويدي الغربي - بجوار أسواق اليمامة
هاتف: ٢٤٣٤٩٣٠ - فاكس ٤٣٣٣٦٥٧

http: //www. al-andalus-kh.com
E-MAIL : info @ al-andalus-kh. com

هذا الكتاب في الأصل رسالة أُعدت لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه وأصوله من كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، ونوقشت يوم السبت ٢/صفر/١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢/٨/١م.

تكونت لجنة المناقشة من الأساتذة الأفاضل:

- الأستاذ الدكتور محمد عقلة/ عميد كلية الشريعة في جامعة اليرموك سابقاً.

مشرفاً ورئيساً

- الأستاذ الدكتور ماجد أبو رخية/ كلية الشريعة الجامعة الأردنية.

عضواً

- الأستاذ الدكتور محمد حسن أبو يحيى/ كلية الشريعة الجامعة الأردنية.

عضواً

وقد أُجيزت هذه الرسالة كما قدمها الباحث، وكما هي في صورتها الحالية، مع تعديلات يسيرة.

جزى الله الجميع خير الجزاء.

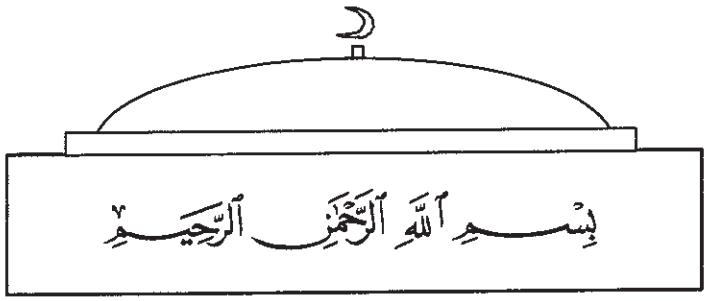

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

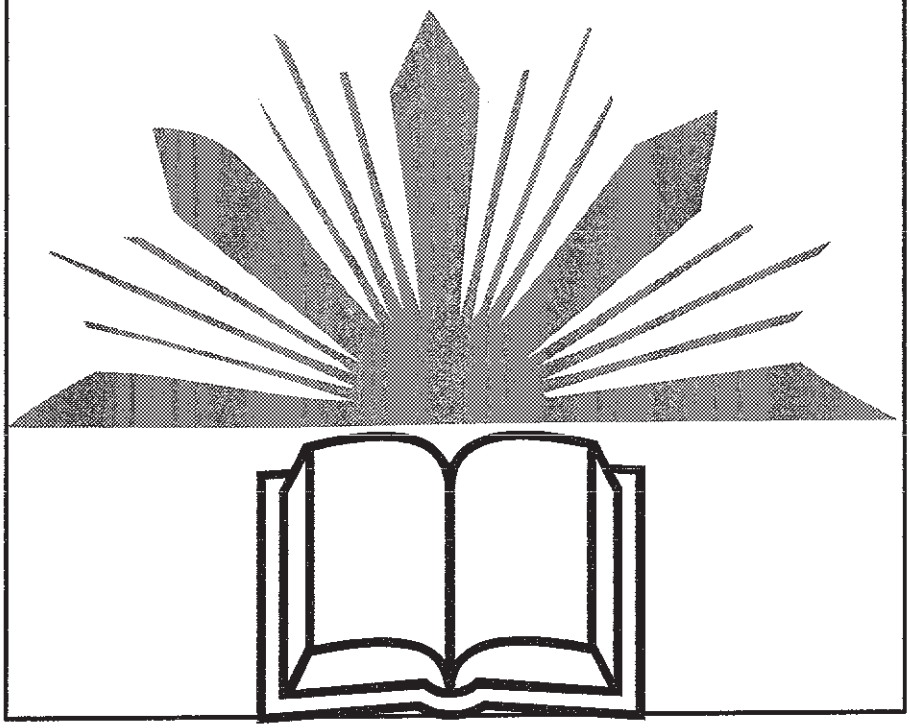

الإهداء

إلى المرشد المربي الفاضل
إلى العالم الرباني الكامل
إلى الذي دلّني على الطريق في زمن تزل فيه الأقدام،
ويحار فيه أصحاب العقول والأفهام.
إلى الذي أحب أن يرى هذه الثمرة ولكن الله اختاره قبل أن تنضج
إلى والدي رحمه الله.

إلى التي ربتني في مقتبل طفولتي
يوم أن غاب أبي
ونشّأتني على حب القرآن وتلاوته
إلى التي بذلت الجهد والوقت والمال
وكانت وراء هذه الثمرة...
إلى أمي أمدّ اللّه في عمرها.

أحمد سعيد حوى

كلمة بين يدي الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنني أقدم هذه الرسالة لطلاب العلم والباحثين بعد سنوات مضت على مناقشتها وإجازتها، وقد أشار عليّ بعض الزملاء بنشرها، ووافق ذلك خطاب وردني من الإخوة في دار الأندلس جزاهم الله خيراً، فرأيت أن لا عذر لي في تأخير نشرها.

وإنني إذ أقدم هذه الرسالة أرجو ألا يُظن أنني أتعصب لهذا المذهب أو ذاك، فإن الغرض من هذا البحث هو تعريف الباحثين على أصول التعامل مع هذا المذهب ومصادره والتعرف على أعلامه، هذا في جانب منه، وأما في الجانب الأصولي منه فإن الغرض هو تقريب هذه المسائل الأصولية مع توثيقها من مصادرها كما وردت فيها، ولم يكن الغرض في هذا الجانب مناقشة هذه المسائل أو مقارنتها بغير هذا المذهب فذاك، مشروع آخر قد يطول به الزمن، أسأل الله تعالى أن ييسره.

وأخيراً، فإنني أنتظر من إخواني طلبة العلم وحملته المنصِّفين ألاّ يبخلوا عليّ بنصح أو فائدة، كما أرجو أن يعذروني فإني أقر بالتقصير، وأسأل الله تعالى المغفرة والقبول.

أحمد سعيد حوى
عمان ١١ محرم ١٤٢١ هـ
١٥ نيسان ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، لما بدأت أفكر في موضوع يكون محل البحث والدراسة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير كنت أستشير الأساتذة الأفاضل، والزملاء من طلبة العلم النجباء، وأعرض عليهم ما يجول بخاطري، ولم يستقر رأيي على شيء، حتى عرض علي الأستاذ المشرف فكرة «المدخل» إلى مذهب من المذاهب الفقهية فلاقى الموضوع هوى في نفسي، وأحببته، وقررت أن أكتب في «المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى»، ولقيت تشجيعاً من الوالد ـ رحمه الله ـ ومن كثير من الأساتذة الأفاضل، ولكن بعض الإخوة والأساتذة نبهوني إلى جسامة العمل وضخامة الموضوع، فترددت قليلاً، ثم عزمت عليه واستعنت بالله.

أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهمية كبيرة، وهو موضوع تمس الحاجة إليه لدى كل طالب علم، وكل باحث في مذهب الحنفية، وأرى أن أهمية هذا الموضوع تبرز في النقاط الآتية:

١ ـ إعطاء طلاب العلم والباحثين فكرة عن المذهب الحنفي من حيث تأسيسه ونشأته وتطوره.

٢ ـ إعطاء صورة وافية عن قواعد وأصول هذا المذهب بأسلوب معاصر موثق.

٣ ـ التعريف بأهم أعلام المذهب الحنفي عبر العصور والتعريف بأهم مصنفات هؤلاء.

٤ ـ الوقوف على قواعد الترجيح بين الأقوال والروايات الكثيرة في كتب المذهب الحنفي.

٥ ـ الرد على بعض الاتهامات والشبهات التي أثيرت حول المذهب الحنفي من بعض خصومه.

٦ ـ الموضوع بهذا الشمول يسد ثغرة في المكتبة الإسلامية تحتاج إلى ملء؛ وذلك لعدم وجود كتاب جامع لهذه القضايا التي ذكرناها.

الجهود السابقة في الموضوع:

هذا الموضوع بهذا الشمول الذي أردناه، والذي يتضح من النظر في هيكل البحث، لم يكتب فيه قديماً ولا حديثاً، ولا يعني هذا أنه لم توجد كتابات تعالج بعض جوانب الموضوع، فقد وجد الكثير من الكتب التي ترجمت لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أو له ولبعض أصحابه، ولكن هذه لا تغطي سوى جانباً صغيراً من بحثنا، أما الجانب الأصولي من هذا البحث فلا توجد فيه كتابات معاصرة ـ فيما أعلم ـ ذلك أن معظم الذين كتبوا في أصول الفقه من المعاصرين ساروا على طريقة الشافعية، أو جمعوا بين الطريقتين فلم يوفّوا طريقة الحنفية حقها من العرض والتفصيل، أو عرضوا بعض الجوانب دون بعض.

وأما كتب أصول الفقه القديمة فلا يخفى ما في كثير منها من الإطالة

والمناقشات والاستطرادات والمباحث الجدلية العقيمة، وما كان مختصراً منها ففيه من التعقيد ما يعسر فهمه على كثير من طلاب العلم المتقدمين فضلاً عن المبتدئين، فاحتاج الأمر إلى عرض جديد.

وسأعرض هنا لكتابين سابقين يغطيان بعض جوانب الموضوع:

١ ـ كتاب «أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه» للشيخ محمد أبو زهرة، يمتاز الشيخ محمد أبو زهرة بكتاباته المسهبة والمستوعبة، وقد عرض لسيرة أبي حنيفة وأطال فيها وفصّل، وتكلم عن أصول أبي حنيفة، إلا أنه لم يتناول كل ما دخل في علم أصول الفقه فيما بعد، وإنما تكلم عن الأدلة الإجمالية التي يحتج بها أبو حنيفة وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس والعرف والاستحسان وقول الصحابي، وفصّل ذلك إلا أن هذه المواضيع لا تغطي سوى جزء من أبحاث أصول الفقه، زيادة على ذلك فإن أبا زهرة يكتفي من التوثيق بأقله، والكتابات الجامعية تحتاج إلى مزيد من التوثيق والتدقيق.

ثم تكلم الشيخ أبو زهرة في آخر كتابه عن قواعد الترجيح وما يتعلق بذلك، وهذه المَرْجعُ فيها العلامة ابن عابدين جمع عمن تقدمه، وعنه أخذ من بعده ومنهم أبو زهرة وقد عرّف الشيخ أبو زهرة بأصحاب الإمام الأوائل وعرف بأهم مصنفاتهم، وأما أعلام الحنفية عبر العصور ومصنفاتهم فلا يوجد شيء من ذلك في كتابه.

٢ ـ كتاب «المذهب عند الحنفية» للدكتور محمد إبراهيم أحمد علي، وهو بحث مطبوع في جامعة أم القرى في نحو من خمسين صفحة، عرف بالمذهب الحنفي وأئمته، وتحدث عن تطور المذهب من الناحية التاريخية عبر ثلاثة مراحل: مرحلة النشوء والتكوين ومرحلة التوسع والنمو ومرحلة الاستقرار، وعرض خلال ذلك لأهم المصنفات التي اعتُمِدت في نقل المذهب عبر هذه العصور، ثم انتهى إلى الكلام عن قواعد الترجيح، وهذه نقلها عن ابن عابدين، فهو المرجع فيها كما قلنا، ولم يتطرق البحث إلى

أصول الحنفية إلا ما كان من الإشارة إلى أصول أبي حنيفة أي مصادر الأدلة عنده.

وبعد، فالكتابان لا يغطيان إلا بعض الجوانب من بحثنا، وكذلك غيرهما من الكتب التي اطلعت عليها، فليس فيها ما يغطي هذا الموضوع بكل جوانبه الآتية:

هيكل البحث:

لقد جعلت هذا البحث في تمهيد وثلاثة أبواب:

التمهيد: وتكلمت فيه عن نشأة علم الفقه وتطوره حتى نهاية القرن الهجري الأول؛ أي إلى ما قبل ظهور المذهب الحنفي.

الباب الأول: أبو حنيفة والمذهب الحنفي.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفي:

وعرضت فيه سيرة الإمام أبي حنيفة من مولده إلى وفاته، وتطرقنا خلال ذلك إلى أخلاقه وفضائله وبعض أخباره، وكيف بدأ بتلقي العلم، وكيف انتهى إلى التدريس والإفتاء، وذكرنا طرفاً من ثناء الأئمة عليه، وبيّنا موقفه من الحديث وبينا عقيدته ودفعنا بعض الشبه في هذا المجال.

الفصل الثاني: نمو المذهب الحنفي وانتشاره:

وتكلمت فيه عن دور أصحاب الإمام وأصحابهم من بعدهم في نشر هذا المذهب، وترجمت لأصحابه الأوائل باختصار ثم تكلمت باختصار عن انتشار هذا المذهب في البقاع الإسلامية.

الباب الثاني: أصول فقه المذهب الحنفي:

وفيه تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد في تدوين أصول الفقه عند الحنفية: وبيّنت فيه أن تأخر تدوين

أصول الفقه عند الحنفية لا يعني عدم وجود منهج أصولي محدد يسيرون عليه، ونقلت عدداً من النقول عن الإمام تبين أن له منهجاً في الاستدلال وترتيب الأدلة.

الفصل الأول: في الأحكام الشرعية وما يتعلق بها.

وتكلمت فيه عن تقسيم الحنفية للحكم الشرعي ثم تكلمت عما يلحق بهذا الموضوع من الكلام عن المكلف وما إلى ذلك.

الفصل الثاني: في الأدلة الشرعية:

وتكلمت فيه عن الأدلة الشرعية الرئيسة الأربعة المتفق عليها، ثم تكلمت عن الأدلة التبعية من الاستحسان والعرف وقول الصحابي وشرع من قبلنا والاستصلاح والاستصحاب وبيّنت مدى احتجاج الحنفية بهذه الأدلة.

الفصل الثالث: في منهج الحنفية في الاستنباط من النصوص الشرعية:

وقد بينت فيه أن الحنفية لهم منهج دقيق في فهم معاني النصوص واستنباط أحكامها.

وبينت أنهم قسموا الألفاظ باعتبارات مختلفة ليستثمروا معاني النصوص إلى أبعد مجال، ويرتبوا تلك النصوص عند تعارضها.

الفصل الرابع: في التعارض والترجيح والنسخ:

وبينت فيه منهج الحنفية لدفع التعارض الذي يظهر لنا بين النصوص، وبينت أن بعض الصور يظن فيها التعارض وليس كذلك وبينت أن من طرائق دفع التعارض الجمع بين النصوص المتعارضة أو الترجيح بينها ببعض المرجحات، ومن صور دفع التعارض الحكم بالنسخ، وهذا أفردته في مبحث وتكلمت فيه عن أنواع الناسخ، وأنواع المنسوخ.

الباب الثالث: مصادر الحنفية ومصطلحاتهم:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مصادر الحنفية في مختلف الفنون الفقهية وأعلامهم.

وقد اقتصرت فيه على الأعلام الذين لهم تصنيف في مذهب الحنفية، وقد جمعت فيه عدداً كبيراً من المراجع عند الحنفية، ووزعتها على حسب مواضيعها من أصول أو فقه أو فتاوى أو غير ذلك، ثم رتبتها في كل موضوع على حسب سنة وفاة مؤلفيها، وبهذه الطريقة يعرف كيف تطور التأليف عند الحنفية، ويعرف ما ابتنى من الكتب على غيره.

الفصل الثاني: مصطلحات الحنفية وقواعد الترجيح في المذهب الحنفي:

وقد تكلمت فيه عن تقسيم فقهاء الحنفية إلى طبقات، وناقشت هذا التقسيم، ثم تكلمت عن تقسيم المسائل إلى طبقات أو مراتب يقدم أعلاها عند التعارض، ثم تكلمت عن تسميات وألقاب شائعة لعدد من مشاهير الحنفية.

ثم تكلمت عن قواعد الترجيح بين الأقوال المنقولة عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه، وكيفية الوصول إلى القول الراجح المُفتى به في المذهب.

منهج البحث:

تنوع منهج البحث في هذه الرسالة تبعاً لتنوع فصولها وأبوابها:

ففي الباب الأول عند عرض سيرة الإمام وأصحابه، انتقيت عدداً من الروايات المذكورة في عدد من الكتب التي ترجمت للإمام وأصحابه، وأعرضت عن ذكر الروايات الغريبة والقصص العجيبة، وقد حرصت على الاختصار في هذا الباب لأنه أقرب إلى باب تمهيدي للرسالة.

وفي الباب الثاني الذي تكلمت فيه عن أصول الحنفية، فقد حرصت على الرجوع إلى أمهات كتب الأصول عند الحنفية القديمة منها والمتأخرة

ـ ما تيسّر لي منها ـ فكنت أراجع كل المسائل من كل هذه المراجع وأعزوها إليها، حتى غدت هذه الرسالة ـ زيادة على كونها عرضت أصول الحنفية ـ فهرسة للمسائل الأصولية من تلك المراجع.

وقد حرصت في هذا الباب على العرض المختصر، وأعرضت عن الاستدلال للمسائل الأصولية إلا نادراً؛ لأن هذا المدخل لا يتسع لذلك.

وحاولت قدر الإمكان ـ وبحسب فهمي ـ أن أعرض المسائل الأصولية عرضاً متسلسلاً بحيث يوصل المتقدم منها إلى المتأخر بطريقة مقنعة.

وحاولت أن أكتب ـ قدر المستطاع ـ بلغة سهلة إلا حيث كان لا بد من إثبات عبارة الأصوليين، وكنت أشرحها إذا احتاجت إلى شرح، كل ذلك مع مراعاة الاختصار الذي يناسب هذا المدخل.

والباب الثالث، وفيه فصلان: أما الفصل الأول منه المتعلق بالمراجع، فقد كنت أول الأمر جمعت نحواً من أربعمائة عنوان في مختلف الموضوعات، وعرّفت بمعظمها مع ترجمة مختصرة لأصحابها، مع الإشارة إلى مصدر تلك الترجمة، ولكن هذا الفصل جاء كبيراً جداً، ولما كنت مقيداً بحجم معين للرسالة فقد اختصرته إلى الثلث تقريباً فانتقيت أشهر الكتب في كل موضوع ورتبتها وترجمت لأعلامها وأشرت إلى ما كان أصلاً لغيره، أو ما كان شرحاً لغيره، أو مختصراً منه.

والفصل الثاني من الباب الثالث المتعلق بقواعد الترجيح والمصطلحات الخاصة فيه، فقد اعتمدت فيه بالدرجة الأولى على ما كتبه ابن عابدين في رسالته «شرح عقود رسم المفتي»، إلا أن أسلوب ابن عابدين يعتمد على النقول الكثيرة، والأخذ والرد، فكنت ألخص ما كتب وأعرضه بأسلوب ميسر قدر المستطاع.

وبعد، فقد تمَّ بحمد الله هذا العمل الكبير، وقد عانيت فيه معاناة كبيرة، وبذلت فيه جهداً ووقتاً طويلاً، ولولا توفيق الله ورعايته لما تم هذا الأمر، بل لقد مرَّت علي أيام كنت أفكر بالتخلي عن هذا الموضوع لما وجدت من صعوبة العمل، وطول الطريق، ولكن إلحاح الوالدة الفاضلة، وتشجيع بعض الناصحين، وطمعي في أن أقدم خدمة للعلم وأهله، دفعني كل ذلك إلى المضي في هذا العمل الذي يقدر جسامته وصعوبته من سبر غوره وخاض بحره.

ومع ذلك فإني لا أدعي الكمال ولا مقاربته، بل إني أعترف بالعجز والتقصير، والنقص من سمات البشر، ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى.

وبعد، فإني أضع جهدي بين يدي الأساتذة الأفاضل ليسدّدوا الخلل، ويبينوا الزلل، فإن رأوا أني قد وفقت فذلك من فضل الله عليّ، لا حول لي ولا قوة، وإن رأوا أني قد أخطأت فذلك من تقصيري وعجزي، وأستغفر الله.